مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

جدلية الإعلام والأيديولوجيا ودراسة العلاقات الدولية

د. عاطف عودة الرفوع

أبحاث

جدلية الإعلام والأيديولوجيا ودراسة العلاقات الدولية

د/ عاطف عودة الرفوع

الموضوع وإشكاليته وأهدافـــه :

تستهدف هذه الدراسة في إطارها العام دراسة طبيعة العلاقة بين الإعلام والأيديولوجيا وتأثير ذلك في تشكيل جملة التفاعلات الإنسانية على الصعيدين الإقليمي والدولي من منظور أن الإيديولوجية والإعلام تشكلان نسقا متكاملاً تعمل عناصره بانتظام دقيق ، وان التطور الهائل الذي حدث لحلق تكنولوجيا الاتصال بصفة عامة ووسائل الاتصال الجماهيري بصفة خاصة قد وسع ميدان " صراع الأفكار" لتشمل العالم كله.

و تنطلق الدراسة من هيمنة وسائل الاتصال الجماهيري على حياة الإنسان، وقد وصف أحد الباحثين قوتها على حياة البشر ب " الإله الثاني " إذ يرى أن الراديو والتلفزيون في كل مكان وهما معنا دائما ، إذ تستمع الملايين إلى الشبكات والإعلانات التجارية نفسها ، وتشارك شخصيات المسلسلات العاطفية مذاق الروح ، وغموض الحب ،ومعانات الخطيئة ، وانتصار الشيء الصحيح . إن وسائل الاتصال تؤثر في اتجاهات المجتمع ، والبنى السياسية ، والحالة النفسية لجميع البلدان من خلال توجيه انتباه الملايين إلى الحدث نفسه و بالطريقة نفسها . [١]

ووفقا لإحصائيات تسعينيات القرن الماضي أي قبل نحو ١٠ سنوات فانه يوجد في العالم :

١.٢٨ مليار جهاز تليفزيون ، ٦٩٠ مليون مشترك في شبكات الهاتف الأرضي ، ٨٠ مليون مشترك في الهاتف النقال ، ٢٠٠ مليون حاسب، ٣٠ مليون مرتبط بشبكة الإنترنت، ٦٠٠ ملين عدد مشتركي الإنترنت. [٢]

في خضم هذا الواقع الذي اصبح فيه الإعلام ابرز ظاهرة كونية واكثر انتشارا وتأثيرا في حياة الأفراد والمجتمعات اليومية ، يقول توفلر " إن وسائل الإعلام الجماهيري أصبحت ألان مكبر صوت عملاق تستخدم قواها في الجبهات الإقليمية والعرقية والقبلية واللغوية لتوحيد الصور المتدفقة إلى تيار المجتمع العقلي " [٣] وهو ما يدعو إلى على

ما تفرضه وسائل الاتصال من تحديات على" المجتمع الدولي "باتجاه عولمة الاقتصاد والتوجه الديمقراطي وتأثير ذلك على الشعوب كلها .

إن الثورة المعلوماتية التي اجتاحت المجتمعات المعاصرة ، المنفتحة منها و المغلقة ، و بروز ظاهرة " الإنترنت " - على سبيل المثال - والبث الفضائي " والإعلام العابر للقارات واتساع جمهور وسائل الاتصال ، وما دعاه توماس فريدمان بتأثير " القبيلة الإلكترونية في توجيه المؤسسات السياسية والتأثير في العالم . وتشكيل بنية التفاعلات الإنسانية أربكت بعض الحكومات فيها ، فأصبح من الصعب عليها السيطرة على مصادر المعلومات ووصولها إلى المتلقي مما أدى إلى كسر القيود والحدود وبات جدار الدولة القومية مثقوبا تذروه رياح الأيديولوجيا من كل حدب وصوب والتي لم يعد في مقدورها - الدولة القومية - الهروب منها .

حتى أن محاولاتها أحيانا لتحريف الحقائق وتشويهها، بدأت تتكشف وتتدنى مصداقيتها لدى شعوبها والرأي العام المحلي والدولي، وهو ما ينعكس سلبا على مصداقيتها محليا وعالميا .

كما إن أفكار " نهاية التاريخ " لفوكو ياما و " صراع الحضارات " لصموئيل هانتنفتون ومن سار في ركبهما ونزعات اليمين المتطرفة في الغرب هنا وهناك ، وبروز أيضا بعض الاتجاهات الجديدة لدى بعض قوى الإسلام السياسي المتطرفة في العالم،يحمل وسائل الاتصال مسؤولية كبيرة ، فهي تجسد نبض الشارع والناس والدولة في آن واحد. وهي في علاقتها المباشرة مع البشر، وخاصة في ظل التقنيات الأكثر حداثة وتقدماً، قادرة على الوصول والتأثير في الأحداث الجارية سلباً أو إيجاباً وفي تشكيل الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي بكل مؤسساته لمواجهة أفكار التطرف في العالم وتطبيقاتها العملية والحد من تأثيراتها على الامن والسلم العالميين وهما من أهم ركائز دراسة العلاقات لدولية .

أن هذا الواقع الجديد فرض شكلا جديدا ومضمونا جديدا لنسق لعلاقات الدولية المعاصرة والذي جرى تسميته ب " العولمة " .

ولعل فيما سبق ذكره يدفع الباحث إلى التأكيد على دراسة العلاقات الدولية من منظور دور وسائل الاتصال الجماهيرية والأيديولوجيا في تكوينها الحالي واستشراف مستقبلها .

هدف الدراسة وأهميتها :

إن شدة و تعقيد ارتباط وسائل الاتصال الجماهيرية بالأيديولوجيا يدفع الباحث لحصر دراسته و لاعتبارات منهجية بموضوع " وسائل الاتصال وثقافة السلام " ، ذلك أن دراسة هذا الموضوع تسمح لنا بمحاولة الكشف عما إذا كان بمقدور وسائل الاتصال الجماهيرية التخلص من هيمنة ارتباطاتها العقائدية وسيطرة الأيديولوجية على شكلها و محتواها والخروج في النهاية بنسق إعلامي يتجاوز النمطية والصور القبلية ليلتصق بحاجات الإنسان الاتصالية ومصالحه المختلفة وتركيزها على ثقافة السلام بين البشر بغض النظر عن العرق أو اللون أو الدين . وبالتالي الانتهاء إلى ثقافة سلام عالمية موحدة و تحقيقها بذلك مقولة مكلوهان " العالم قرية واحدة " ليس بالمفهوم المكاني وانما بمفهومي الامن والسلام .

من هنا يطرح الباحث التساؤل التالي :

هل وسائل الاتصال الجماهيرية قادرة على صنع ثقافة سلام عالمية واحدة تشكل مدخلا في المستقبل لدراسة نسق العلاقات الدولية ؟ . أم أنها ستبقى محكومة باجندة الأيديولوجيا وأفكار " نهاية التاريخ " و " صراع الحضارات " وأفكار التطرف في كل مكان الذي يهدد الأمن والسلم العالميين ؟ .

إن الإجابة عن هذا التساؤل يحتاج إلى جهد علمي ثاقب يفحص أولا : إمكانية انتزاع " وسائل الاتصال الجماهيرية من الأيديولوجيا وثانيا : قولبتها في إطار القيم المهنية الخالصة للإعلام من حيادية وموضوعية واحترام خصوصية الأفراد والجماعات، وثالثا : ربطها في الاحتياجات الاتصالية للفرد والمجتمع في إطار نظام عالمي للإعلام أساسه خدمة الفرد والمجتمع والدول وعلى رأسها الحاجات الأمنية والنزوع نحو السلام وتحقيق الحرية والكرامة التي كفلتها الأديان السماوية و النظم الوضعية وبث روح التسامح مع الآخر ومحاربة كل ما يثير التناقضات وبؤر الصراع في بنية التفاعلات الإنسانية بجملتها .

ولعل هذا الجهد يحتاج وقتا لي بقصير ،لذا فان هذه الدراسة لا تطمح إلى ابعد من كونها مدخلا إلى ذلك .

منهج الدراسة :

إن طبيعة الموضوع تستدعي من الباحث اتباع المنهج التاريخي الانتقادي وهو كما يراه كارلنجرKarlenger(١٩٩٧٣) الاستقصاء الانتقائي للحوادث والتطور وتجارب الماضي وتقييم صحيح لصلاحية مصادر المعلومات عن الماضي .[٤] وهو عند

اسحق وميخائيل Issac&Michael(١٩٧٧) [٥] إعادة بناء وفهم الماضي بانتظام وموضوعية بجمع شواهد (الأدلة)والتأكد منها وتقييمها لتكوين حقائق والوصول إلى نتائج موثوقة يمكن الدفاع عنها .

مكونات الدراسة :

إن طبيعة الموضوع تستلزم من الباحث تناول الموضوعات التالية :

أولا : في مفهوم الأيديولوجيا

ثانيا : في مفهوم السلام

ثالثا : وظائف الإعلام

رابعا : دور وسائل الاتصال الجماهيري في إحلال ثقافة السلام

خامسا : الخاتمة

أولا : في مفهوم الأيديولوجيا

من الطبيعي أن تكونَ وسائل الإعلام محددة بالبناء الفوقي للنظام الاجتماعي الذي تعمل فيه. ففي أجهزتها تتمركز المصالح الإيديولوجية، إذ أنها الوحيدة التي تستطيع أن تنقل بصورة وافية إلى جميع فئات الناس و في الوقت المناسب المعرفة المطلوبة التي تمكنهم من الإطلاع على الأحداث المعاصرة في كل العالم. و كذلك تمكنهم من استيعاب التفاعلات داخل مجتمعاتهم بالذات و التفاعل مع الرموز و الأهداف التي يوحي بها البناء الفوقي من خلال منظومة الأفكار والآراء التي تمثل إيديولوجيته.فما هي الأيديولوجيا ؟

يتضح من مجمل التعاريف غير الماركسية التي تناولت الإيديولوجية أن المضمون يبقى دائما محددا بالأفكار و الآراء و المواقف و العقائد و القيم. منها ما يأخذ طبيعة نظام متناسق ومنها ما يظل في إطار نماذج مختلفة. أما دور هذه الأفكار و الآراء والمواقف و العقائد و القيم فهو تحديد شخصية الجماعة و الفرد و المرحلة التاريخية و كذلك تحديد قواعد السلوك والأهداف والشعارات و حماية السلطة بما فيه استعمال العنف. أي أن الإيديولوجية يمكن أن تتحول إلى وسيلة قمع و اضطهاد. و كذلك فإن من وظائف الإيديولوجية في الممارسة تبرير المكاسب المادية و المعنوية لمن ينشرونها متمسكين بمبدأ ما يجب أن يكون تبعا لتوجهاتهم .

و أما التعاريف الماركسية فإنها تعترف بالأهداف و السلوك و الأفكار و القيم إلا أنها تؤكد أن الشروط الحياتية هي الأساس و أن تفسير الحياة تبعا لكل هذا يتوقف على مصالح الفئة الاجتماعية أو الطبقية التي تعبر عنها هذه الإيديولوجية أو تلك. و لذلك فإن الإيديولوجية تفهم من خلال هذه الأفكار. فإما أن تكون مع الحقيقة تصورها وتعكسها، و إما أن تكون ضد الحقيقة تخفيها أو تشوهها و لا تهتم بالوسيلة التي تحقق غايتها فكل شيء مبرر مادام يحقق تلك المصالح. (٦)

و في التقريب لموضوع بحثنا نستطيع القول إن الإيديولوجية هي ذلك الإطار الرمزي الذي من خلاله يكون هنالك نوع من الاتصال و التفاهم و بالتالي الاتفاق بين أتباع الإيديولوجية. و بمعنى آخر الإيديولوجية هي عبارة عن مجموعة من الرموز و المفاهيم المجردة التي يُساعد إتّباعها على تفسير الماضي و رواية الحاضر و استلهام المستقبل. إنها ذلك الوسيط المجرد الذي يصل الفرد بالجماعة التي ينتمي إليها و البيئة التي يعيش فيها.

إنها ذلك الخيط الذي يربط الذات بالموضوع، و الداخل بالخارج و الذهن بالمادة. (٧) وفي حالة الحركات السياسية تكون الإيديولوجية أكثر فعالية في تحقيق أهداف الحركة عندما تتصف بصفات معينة من أهمها:

أ ـ البساطة و العفوية و العمومية في المبادئ التي تجعلها في متناول المدارك كافة وتجعل متلقيها يجد فيها شيئا يحقق ما يريد.

ب ـ الاتفاق النسبي مع الثقافة السائدة و نعني الثقافة السياسية والتي يعرّفها (لوتشيان باي) بأنها: "مجموع الاتجاهات و المعتقدات و المشاعر التي تعطي نظاما و معنى للعملية السياسية وتقدم القواعد المستقرة التي تحكم الأفراد داخل النظام" و يعرفها (سيرني أفريا) بأنها: "المعتقدات الواقعية و الرموز التعبيرية و القيم التي تحدد الوضع الذي يحدث التصرف السياسي في إطاره." وهكذا فكلما كانت الإيديولوجية السياسية المطروحة أكثر قربا من الثقافة السياسية السائدة في مجتمع ما، تكون هذه الإيديولوجية أقرب إلى الانتشار و بالتالي إلى الفاعلية.

ج- الاتفاق مع مصالح الجماعات المكونة للمجتمع. أي أن على الإيديولوجية أن تكون ذات مضمون تجد فيه مختلف طبقات و فئات المجتمع الرئيسية ما يعكس أهدافها ومصالحها في إطار الجماعة الأكبر ألا و هي الأمة.

ولا بد هنا من طرح نموذجين من نماذج الأيديولوجيا المعاصرة وسائل الإعلام وتشكيلها وفقا لمصالح جنس من البشر وثقافة معينة الأمر الذي يضع وسائل الإعلام

في لب صراع الأفكار وهو ما يصبغ طبيعة العلاقات الدولية بالصراع وينأى بوسائل الإعلام عن دورها في إحلال ثقافة السلام.

ولا بد من الإشارة إلى أن التقدم الشاسع الذي حققه الغرب في كافة المجالات: إنتاج المعرفة العلمية والأيديولوجيا وتكنولوجيا الاتصال وتكوين علاقة أصيلة بين الإنسان والتكنولوجيا سمح له بالسيطرة على مصادر المعرفة و التحكم والتوجيه لوسائل الإعلام، فوكالات الإنباء التي تمثل المصدر الرئيسي المعني بتداول المعلومات ينتجها الغرب ، إذ تشير الإحصاءات إلى وجود ١٠٦والة أنباء عالمية وقومية وإقليمية في العالم ، تبلغ طاقة بثها الإجمالية اكثر من ٥٠ مليون كلمة في اليوم ، وتوزع على وسائل الإعلام في ١٥٢ بلدا وبمختلف اللغات ، ويتمثل حجم الأنباء التي تبثها الوكالات الأربع الرئيسية من اصل ١٠٦ وكالة بنحو ٣٢,٨٥٠,٠٠٠ كلمة يوميا ، موزعة كمايلي : اسوشييتد برس ١٧,٠٠٠,٠٠٠كلمة يونايتد برس ١١,٠٠١,٠٠٠ كلمة ، والصحافة الفرنسية ٣,٣٥٠,٠٠٠ كلمة ،ووكالة رويتر ١,٥٠٠,٠٠٠ كلمة . (٨)

أضف إلى ذلك ، أن المعلومات لم تعد عبارة عن تداول بل هي محور للنشاط المعرفي والثقافي والإنساني برمته ، فالعملية المعلوماتية تبدا بالبيانات الأولية Database وصولا إلى المعلوماتInformationومن ثم صهر كل منهما في وعاء معرفي يوفر قوة لا متناهية لمن يملك التحكم في مضمون هذا الوعاء. (٩) وإذا أردنا معرفة سر العلاقة بين المعلومات والبيانات يمكن القول بان الأولى هي نتاج الثانية ، وان المعلومات تعرف بتطبيقاتها المتمثلة بالمستحدثات التقنية والمؤسسات الاجتماعية ، والعلمية ، والصناعية ،وغيرها .

ومما هو جدير بالملاحظة أن المعلومات لم تعد حكرا على مؤسسات معينة ، أو أنشطة معينة ،وانما أصبحت محورا لفعاليات الإنسان الشخصية والاجتماعية ، ومحورا للمؤسسات الإنتاجية والثقافية . (١٠)

ولعل في أفكار فوكو ياما أوضح مثالا لدراستنا هذه وهو ما يمكن توضيحه إغناء للدراسة وتبيانا لها .

يقول د. أسامة القفاش : " بالرغم من أن "فوكوياما" يحدّد معنى نهاية التاريخ بالمفهوم الماركسي: بمعنى وصول المؤسسات الاقتصادية والسياسية البشرية إلى ذروتها، إلا أننا نراه يستخدم مفهوم "العولمة" بمعنى سيطرة ثقافة معينة على الثقافات المتعددة، أي أنه يخرج من الإطار

الاقتصادي/ السياسي ليفرض سيطرة ثقافية كذلك.[١١] فحين يتكلّم عن شبكة الاتصالات الدولية وثورة المعلومات نراه يركز على شفافية الحدث وانتشاره وتكراره. ..... وان عادات وتقاليد ومعتقدات المجموعات البشرية التي تتسم بسمات مستقرة، ستزول وتنمحي بمجرد الدخول في اقتصاد السوق وأسلوب الديمقراطية .... وإشكالية "فوكوياما" هنا هي أنه قدم تصورًا دعائيًا "للعالم الجميل الجديد" على أنه رؤية معرفية. فهو يلتزم الحتمية الماركسية التاريخية ولكن يغير من نتائجها، ويجعل الهيمنة للرأسمالية الرشيدة والبرجوازية العاملة بدلاً من الشيوعية والبروليتاريا. وبينما نجد أن مفهوم الحتمية ذاته يتعرض للانهيار؛ سواء في مجال العلوم الطبيعية التي يراها "فوكوياما" النموذج الأعلى الذي ينبغي الاقتداء به، أو في مجال الإنسانيات. حيث تساقطت الأفكار الحتمية والمنطق أحادي الاتجاه الخطي، وحلّت محلها رؤى نظرية تساؤليه تأخذ بتعددية الأسباب وفكرة تعددية السيناريوهات المحتملة. "فوكوياما" يؤمن بالعلم وبالرأسمالية في شكل اقتصاد السوق وبالليبرالية في المجال السياسي، ولا استعداد عنده لتغيير إيمانه الثبوتي بهذه الأركان الثلاثة في ديانته الجديدة.[١٢] العلم هو الذي يهدد نهاية التاريخ من وجهة نظر "فوكوياما" لأنه لا نهاية للعلم .

ثانيا : مفهوم السلام

وأرى في هذا الإطار أن أتوقف قليلا عند مفهوم السلام لتتضح اكثر رؤية هذا الصراع.

بداية تتطلع البشرية دائما إلى السلام كتعبير عن وضع إنساني يحقق المثل العليا للبشر في كل الأزمان ، وقد عرف التاريخ محاولات مستمرة على المستوى الفكري لتحقيق هذا الهدف ، إذ أسهم عديد من المفكرين و الفلاسفة بحلول لمشكلات الحرب و السلام .

وأسهم في المرحلة المعاصرة عدد من علماء السياسة والاجتماع في إيضاح مسألة السلام كمثل أعلى و أن السلام لا ينفصل عن قضيتي الحرية و العدالة . فالسلام لا يعني مجرد حالة غياب الحرب أو القتال بين الأمم التي قد تصيب الجماعة الدولية في فترة ما. فقد تكون هذه الحالة مصطنعة كالفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى ، بمعني

أنها لا تعبر عن علاقات لها صفة الدوام بين عناصر الجماعة الدولية أو أنها مفروضة من قوة أكبر[١٣] . و لقد أشار البعض إلى الفترة التي تمت الحرب العالمية الثانية بمحاولة فرض سلام أمريكي ، أو محاولة إسرائيل فرض سلام عبراني على المنطقة العربية [١٤] .

وهكذا تعرض مفهوم السلام إلى العديد من التأويلات و تشعب تفسيره باتجاهات مختلفة رسمتها المصالح الإيديولوجية المتباينة ، و العلاقات الدولية المتصارعة ، وروجت وسائل الإعلام الغربية و الصهيونية أن السلام يعني الخضوع و الاستسلام للأمر الواقع.

وفي جملة الحديث عن السلام هناك من يري أن له تفسيرين . أحدهما "السلام الشامل" الذي يستحيل تحقيقه من الناحية الفعلية ، و الثاني وهو السلام القائم على التوازن والذي تحدده القوة . وهذه السلام يطلق عليه تعبير " السلام الحقيقي "Realpeace" حيث يحتفظ فيه الجميع بتناقضاتهم ، وفي نفس الوقت يسعون إلى حل هذه التناقضات بكل الوسائل ما عدا القوة المسلحة. وهذا الشكل من السلام هو أكثر الأشكال ديمومة [١٥] .

وبالإضافة إلى هذين التفسيرين هناك تعابير أدخلت على مفهوم السلام وهي تستعمل غالبًا في الأحاديث السياسية و الرسائل الإعلامية مثل " السلام الدائم "و السلام النهائي"و"السلام الكلي : و " السلام العادل الشامل" الخ...

على أن الأدبيات التي تهتم بقضايا الحرب و السلام تنطلق دائما في تفسير السلام من نقيضه الحرب وكذلك تفسير الحرب من نقيضها السلام . ففي مجال علم الاجتماع نجد لدى عالم الاجتماع البلجيكي "Werner" المتخصص في قضايا الحرب والسلام هذا الشرح :الحرب والسلام وجهان لحالة اجتماعية وإنسانية واحدة [١٦] .

وفي قاموس (لوروبير Le Robert) هناك تعريف للسلام بالإشارة إلى الحرب لكنه جاء مقتضبًا قليل الدلالة : " السلام يعني حالة شعب أو دولة ليست في وضعية حرب". [١٧]

فالسلام في مدلول قاموس لوروبير يعني انتفاء الحرب . ولكن الحقيقة أن انتفاء الحرب لا يعني السلام بمعناه الحقيقي . فالحرب المسلحة في الوقت الراهن ليست قائمة بين العرب وإسرائيل . ولكن السلام أيضًا ليس موجودًا . و العداوة المستمرة لا تحمل سلامًا وهي حرب وإن لم يكن هناك قتال .

أما مفهوم السلام في الصراع العربي الإسرائيلي فيحمل بعدًا أعمق وله خصائصه المميزة. خصائص عقائدية إيديولوجية ناتجة عن هجوم الصهيونية على الإسلام، وخصائص مادية ناتجة عن احتلال الأراضي العربية ومحاولة الهيمنة على مقدرات الوطن العربي .

كذلك نجد في مجال العلاقات الدولية هذا التعريف للسلام بالإشارة إلى نقيضه "السلام اتجاه يرمي إلى مقاومة ظاهرة الحرب و النزاع المسلح في العلاقات البشرية والدولية وتحقيق المجتمع الإنساني الذي يسوده الوئام والإخاء و المحبة "[١٨] .

فمن الناحية الإيديولوجية تتهم الصهيونية الإسلام بأنه دين فساد وعنف وقتل. والإسلام يكشف هذه العداوة الصهيونية الموجهة ويدمغها بالقرآن و السنة . ويثبت أنه دين سلام حقيقي وللسلام مفهوم مقدس يدخل في إطار العبادة ، و التقرب إلى الله ...

فهو اسم من أسماء الله الحسنى و تأويله أن الله ذو السلام الذي يملك السلام ويخلص من المكروه. [١٩]

لذلك أوصى الرسول المسلمين أن يتوجهوا إلى الله عقب كل صلاة بدعائهم "اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال و الإكرام " [٢٠]

و قد جاء مفهوم السلام في القرآن الكريم بالمعاني و الدلالات التالية :

جاء أولاً بمعنى التحية . فالسلام والتحية معناهما واحد و دلالتهما واحدة . قالوا سلامًا: أي قالوا قولاً يتسلمون فيه ، ليس فيه تعد ولا مأثم . ويقولون سلام عليكم: أي لا حرب هناك . وقال سلامٌ : أي أمري سلام . لا أريد غير السلامة . والسلم و السلام واحدا ويفهم من السلم والسلام الدعوى إلى توفير الأمن والطمأنينة و السكينة . [٢١]

أما بقية المعاني للسلام فقد صورتها الآيات القرآنية بأنه الأمن من الخوف ، والفزع ، وأنه النجاة والسلامة ، وأنه الأمان من كل مكروه والسلام من المكاره ، وأنه السكينة والطمأنينة ، وأنه المسالمة إلى حين وأنه الصلح والمهادنة والمسالمة . [٢٢]

نفهم من كل هذا إن السلام ليس مسألة سياسية وليس مسألة تحقيق مصالح ، إنما هو مثل أعلى ومنهاج لتنظيم حياة البشر بعيدًا عن العدوان والإثم والاغتصاب والفساد .

و لقد أشار القرآن إلى السلام من خلال نقيضه الحرب إذ وصفها بأنها موت البشر ووصف السلام بأنه حياة البشر . قال تعالي :

﴿من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا ﴾ . (٢٣)

ثالثا : وظائف الإعلام :

لقد اقر ميثاق الأمم المتحدة الحقوق التالية : (٢٤)

أولا - احترام حق جميع الشعوب في المشاركة في تبادل المعلومات على المستوى الدولي على أساس الإنصاف والعدل وتكامل المصالح .

ثانيا - حق كل دولة في استخدام مواردها الخاصة من المعلومات لحماية سيادتها والدفاع عن قيمها السياسية والأخلاقية والثقافية واطلاع العالم على مصالحها وتطلعاتها .

ثالثا - احترام حق الجمهور والمجموعات الاثنية والاجتماعية والأفراد في الانتفاع بمصادر المعلومات والاشتراك على نحو فعال في عملية الاتصال .

رابعا - الحق في احترام قيم الشعوب وحياة الأفراد الخاصة .

وحددت وثيقة اليونسكو "عالم واحد وأصوات متعددة : الاتصال والمجتمع اليوم والغد " (٢٥) وظائف الإعلام بالجوانب التالية :

أولا - الإعلام : جمع و تخزين ومعالجة ونشر المعلومات والأخبار والبيانات لفهم الظروف الشخصية والبيئية والقومية والدولية .

ثانيا - التنشئة الاجتماعية : وهي توفير رصيد مشترك من المعرفة يكفل مشاركة أعضاء المجتمع في الحياة العامة بوعي وتآزر.

ثالثا - خلق الدوافع : دعم الأهداف المباشرة والنهائية لكل مجتمع ، وتشجيع الاختبارات الشخصية ودعم أنشطة الأفراد والجماعات لتحقيق الأهداف .

رابعا - الحوار والنقاش : بتوفير الحقائق اللازمة حول القضايا العامة وتوفير الأدلة لدعم الاهتمام والمشاركة الشعبية في الأمور المحلية والقومية والدولية .

خامسا - التربية : بنشر المعرفة لتعزيز النمو السكاني واكتسابه للمهارات والقدرات اللازمة لمراحل العمر المختلفة .

سادسا - النهوض الثقافي : وذلك بنشر الأعمال الثقافية والفنية لمحافظة على التراث وتوسيع آفاق الفرد وإشباع حاجاته الجمالية وإطلاق قدراته على الإبداع .

سابعا - الترفيه : وذلك من خلا التمثيليات والرقص والفن والأدب والموسيقى والمسرح والألعاب بهدف الإمتاع والترفيه الشخصي والجمالي.

ثامنا - التكامل : بهدف توفير الفرص للأفراد والمجموعات والأعم للوصول إلى وسائل متنوعة تحقق حاجاتهم في التعارف والتفاهم والتعرف على ظروف معيشة الآخرين ووجهات نظرهم وتطلعاتهم .

تاسعا - إشباع حاجة الجماعات والمجتمعات ككل من المعلومات والبيانات من خلال المعلومات المتنوعة من سياسية وأحداث دولية ومحلية وأحوال جوية ومعلومات سكانية واقتصادية ومالية .

تستطيع المجتمعات والحكومات أن تخطط للمستقبل وتتعامل مع غيرها من المجتمعات بناء على هذه المعلومات .

وإذا جاز لنا بحث هذه الوظائف من منظور دراسة العلاقة الدولية المعاصرة فإننا سنجد أنها تحمل بين طياتها مجموعة من المرتكزات والمبادئ التي تعيننا على ذلك . فوظائف الإعلام والتربية والتنشئة الاجتماعية والتكامل الاقتصادي والسياسي وإشباع حاجات الجماعات والمجتمعات من المعلومات كلها عناصر مشكلة لبنية التفاعل داخل نسق العلاقات الدولية .

إن دراسة نسق العلاقات الدولية المعاصر وجملة التفاعلات المختلفة بين الدول لا يمكن إن يتم بمعزل عن دراسة النسق الإعلامي الذي اخذ يشكل حجر الزاوية فيه بعد التطور الذي حدث لوسائل الاتصال وعلى رأسها تلك الوسائل العابرة للقارات من سواء المكتوب منها أم وسائل الاتصال السمعي – بصرية.

رابعا : دور وسائل الاتصال الجماهيري في إحلال ثقافة السلام

يهتم الإعلام بنشر الصور و القوالب الذهنية ناقلاً عقيدة الذين هم في مراكز مؤسسية و ذات امتيازات كما يضفي الشرعية على هذه العقيدة . وعملية نقل الأفكار المهيمنة تجري بواسطة نظام محدد يتعلم من خلاله محترفو الإعلام استدخال واستدماج معايير وقيم المؤسسة الصحافية القائمة ضمن بنى تنظيمية معينة ، يظهر فيها النسق القيمي الاستعلائي و العرقي للقائمين عليه .

إن توجيه وسائل الاتصال الجماهيري من قبل الإيديولوجية ليس للمعلومات فحسب بل للبنية الإعلامية بجملتها هو أحد أهم الأساليب المؤثرة على تكوين الصورة عن الآخر وهذا التأثير مهم عندما نعلم أنه تكتب كل يوم ملايين من الكلمات الإعلامية ، لا يتسلم منها القارئ أكثر من نصف بالمائة . وأما ما تبقى من هذا البحر من المعلومات الإخبارية فيخضع لتغيير ضخم[٢٦] . ذلك أن العاملين على توجيه المعلومات العامة هم الذين يقومون بهذا التغير . وهؤلاء الموجهون هم الحكومة و النخب الحاكمة في وسائل الإعلام وكذلك أولئك الذين نسميهم " قادة الرأي " الذين يختارون من بحر المعلومات الواردة ما يناسب اهتماماتهم ويخفون ما لا يريدون توزيعه ونشره . هؤلاء " قادة الرأي " يتأثرون أيضا بدورهم الاجتماعي وبمواقعهم ولمن يعملون بجانب القوانين و الإجراءات الداخلية ، أي الرقابة الذاتية لدى هذه الصحف التي تقولب أراء الآخرين مع الخط المرسوم ، مثل ذلك الرقابة العسكرية التي تهيمن على الصحافة في كثير من البلدان .

يرى بعض الباحثين إن عملية اختيار المعلومات المتناثرة من بحر المعلومات لتكوين الصورة عن أمة لدى أمة أخرى هي عملية هامة لسببين ، أولا : لأن هذه المعلومات المتناثرة يختارها القائمون على وسائل الإعلام " حسب أهوائهم السياسية " أي الإيديولوجية الأمر الذي يزيد من التغيير على الصورة المقدمة والتي مسها التشويه من قبل . ثانيًا : تدعي وسائل الإعلام أنها تلعب دور التثقيف و التوعية بين جماهير المواطنين . لذلك يتحمل المحررون بصفتهم " معلمي الشعب " مسؤولية المستوى الروحي لتكوين بنية وسائل الإعلام الروحية ذات الفائدة لكل فرد ، لأن دور التأثير التثقيفي لتلك الوسائل على الجمهور لا يمكن نكرانه .

بالإضافة إلى هذا فإن لوسائل الإعلام أهمية قصوى في نقل المعلومات المؤثرة على تكوين المواقف المتعلقة بالصورة عن الأمم ولكي يتم الارتقاء إلى مستوى المسؤولية فإن الاتصال الفاعل بين الإعلاميين والمؤسسات الإعلامية من جهة والجمهور الإعلامي من جهة أخرى ذات الأهمية .في تحقيق أهداف تلك المؤسسات الاتصالية .

خامسا - الخاتمة :

يتضح مما سبق أن نسق الإعلام الجماهيري يمثل نسقا جزئيا داخل نسق اعم هو المجتمع الذي يوجد فيه ، والمضامين التي ينقلها الإعلام تؤثر بطريقة أو أخرى – سلبا أو إيجابا في الأنساق الأخرى . مما يترك أثرا فعالا في إحداث التغييرات الثقافية والمعرفية ، خاصة إذا كانت المضامين المذكورة تحتوي على أراء وأفكار ومعلومات مع تلك التي تنتشر ، أو تلك التي يتعامل بها المجتمع ذاته .

وبتعبير أدق تساهم وسائل الاتصال في تنمية أنماط تفكير وعلاقات ومن ثم بنى اجتماعية سياسية جديدة باستمرار، من خلال تنمية طموحات وقدرات الأفراد والجماعات ، إضافة إلى تعليم مهارات جديدة ، أي ان وسائل الاتصال تمثل أحد الديناميات التي تدفع باتجاه إحداث التغيير. بل هي الأكثر فاعلية من الأنساق الاجتماعية ذات العلاقة بعمليات التغيير . خاصة ان الأنساق الأخرى تعتمد بصيغة أو أخرى على وسائل الاتصال في تبادل الآراء والمعلومات والتقارير والبيانات التي تعكس مستوى الفعالية السياسية والاجتماعية .

وقد أنيطت بوسائل الاتصال وظائف ومهمات متباينة ، ومختلفة في إطار البيئة التي يعمل بها على مستويات عدة . كتنميط العلاقات بين الأفراد والجماعات ، أو بث الأفكار المستحدثة ، أو دعم التنظيم الاجتماعي ، وضبط آلياته ، أو تهيئة مقدمات ممارسة الإنسان لحقوقه أو تأدية وظائف التنسيق بين الأنساق الاجتماعية (اقتصادية ، سياسية ،ثقافية .الخ) . كما انه شكل محورا مركزيا على مدى النصف الثاني من القرن الماضي لمسارات الأنساق المذكورة وبصورة خاصة السياسية ، الاقتصادية والثقافية. ومن هنا جاءت الدراسة لتؤكد على دوره كمدخل اكثر فاعلية في دراسة العلاقات الدولية .

سادسا - توصيات الدراسة :

مما سبق شرحه وتبيانه فان الباحث يوصي بمايلي :

التأكيد على إجماع دولي وعالمي يشمل كافة المؤسسات الخاصة والعامة على تبني ميثاق شرف عالمي جديد للإعلام ولعمل وسائل الاتصال يرتكز على المبادئ والمثل الإنسانية المشتركة الداعمة لثقافة السلام والأمن لكل الأفراد والشعوب والدول والأعراق والقوميات ووضع آليات تنفيذ ومراقبة ومحاسبة كل من يخرج عن هذا الإجماع.وذلك لبناء نسق من العلاقات الإنسانية والدولية تعمل لمصلحة الإنسان بغض النظر عن جنسه و لونه ودينه أو ثقافته .

سابعا – هوامش الدراسة :

1-Schwarts .Tony, Media the second God .(Graden City,NewYorc:Anchor Books).P1-

٢- حميد جاعد الدليمي ، علم اجتماع الإعلام (عمان ، دار الشروق ، ٢٠٠١) ص ١١٥-١١٦

٣- المصدر نفسه ص ٣٨

٤- انظر صالح أبو إصبع ، تحديات الإعلام العربي (عمان ، دار الشروق ،١٩٩) ص ٢٤

٥- المصدر نفسه

٦- أنظر نبيل السمالوطي، الأيديولوجية و أزمة علم الاجتماع (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥) ص ٢٢٠ و د.عزت عجان الأيديولوجية ، الثقافة و الإعلام (دمشق،الوكالة العربية السورية للأنباء ١٩٧٦) ص ١٣-١٦، و فردناند دومون، الإيديولوجيات، ترجمة وجيه أسعد، (دمشق ،وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، ١٩٧٧) ،ص ١-١٤، و عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩) ص ٢، و عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية ج٢، (الكويت، وزارة الثقافة والمعارف ١٩٨١)، ص ١٨٤-١٨٦.

٧- الوحدة العربية تجاربها و توقعاتها ، مركز دراسة الوحدة العربية -بيروت ١٩٨٩- ص١٣٦.

٨- حميد جاعد الدليمي، مصدر سابق ص ٦٦

٩- المصدر نفسه ،ص ٦٧

١٠- المصدر نفسه ،ص ٧٦

١١- أسامة القفاش ، " هل استقر الحال؟ قراءة في أفكار فرانسيس فوكوياما " موقع إسلام اون لاين

١٢ ـ المصدر نفسه

١٣- د . علي الدين هلال " مفهوم إسرائيل للسلام " في : التوسع الإسرائيلي عرض و تحليل مشروعات السلام الإسرائيلي (يونيو ١٩٦٧ - أكتوبر ١٩٧٣) ، إعداد : الدكتور فيصل عبد إبراهيم كروان ، تقديم علي الدين هلال ، (القاهرة ، مؤسسة الأهرام - مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية - ب - ت) ص ٥ .

١٤- المصدر نفسه ، ص ٥

١٥- أوردها السيد علي بن سيد على، الصراع العربي الإسرائيلي بين محاولات التسوية و إمكانيات السلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الجزائر، جامعة الجزائر ، معهد العلوم السياسية العلاقات الدولية ١٩٩٦) ، ص ١٣ .

١٥- أوردها السيد علي المصدر نفسه ، ص ١٣ .

16- Le Robert - Dictionnaire Alphaetique Et Analogique De La Langue Francaise -Tome Troisieme - Societe De Nouveau Littre PARIS - 1978 -أنظر : سيد علي بن سيد علي، المصدر السابق ص ١٣ . وما بعدها .

١٧- د . عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسة ، الجزء الثالث ، (بيروت ، المؤسسة العربية لدراسات و النشر ، ١٩٨٣) ، ص ٢١٠ .

١٨ - علي بن القادر السقاف ، صفات الله عز و جل الواردة في الكتاب والسنة ، ٥الرياض ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ١٩٩٤) ، ص ١٤٥

١٩- رواه مسلم حديث رقم (٥٩١) المجلد ٢ ، ص ٨٩ .

٢٠- لسان العرب ، ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٤) مجلد ١٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩١

٢١- أحمد محمد خلف ، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ١٩٩٦ ، عمان ، الجامعة الأهلية ، ص٨

٢٢-سورة الصافات - ٤٣ سورة الأنفال - ٣٥ سورة محم

٢٣- سورة المائدة الآية

٢٤- مصطفى المصمودي ، النظام الإعلامي الجديد (الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٢) ص ١٧-١٩

٢٥- شون ماكبرايد ورفاقه ، أصوات متعددة وعالم واحد (الجزائر ك اليونسكو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨١) ص ٥١-٥٣

٢٦- د . سامي مسلم ، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية ، ط ٢ ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٨٦)، في : عاطف الرفوع : الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع (بيروت ، المؤسسة العربية لشر والتوزيع ،٢٠٠٤) ص ٢٥